

كتاب ذم البخل

﴿ و ذم المال ﴾

ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظراً في المال خاصة بل في الدنيا عامة . والمال بهن أجزائها الجدير بإفراد البحث عنه . إذ فيه آفات وغوائل والانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى . وهما حالتان . يحصل بهما الاختبار والامتحان . ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحدها مدهومة والأخرى محمودة . وللحريص حالتان طمع فيما في أيدي الناس وتشمّر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق . والطمع شرّ الحالتين . وللواجد حالتان إمساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدها مدهومة والأخرى محمودة والمنفق حالتان تبيد واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونحن نشرحه بهونه تعالى *

﴿ بيان ذم المال وكراهة حبه ﴾

قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوَّاءِكُمْ هُمُ الْخَاسِرُونَ) وقال تعالى (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسراً ميبئاً . وقال تعالى (إِنَّ الْإِنْسَانَ

لِيَطْعَنِي أَنْ رَأَهُ اسْتَفْنَى) فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . وَقَالَ
 تَعَالَى (أَلْبَاكُمْ التَّسْكَاتُرُ) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (تَعَسَّ عِبْدُ الدِّينَارِ
 وَتَعَسَّ عِبْدُ الدِّرْهَمِ تَعَسَّ وَلَا انْتَفَشَ وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَفَشَ) بَيْنَ أَنْ
 مَحَبَّهَا عَابِدَ لَهَا وَمَنْ عَابَدَ حَجْرًا فَهُوَ عَابِدُ صَنْمٍ أَيْ مِنْ قِطْعَةٍ ذَلِكَ عَنْ
 اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ أَذَاءِ حَقِّهِ فَهُوَ كَمَا بَدَّ صَنْمٍ وَهُوَ شَرِكُ الْإِلَهِ أَنْ الشَّرِكَ خَفِيَ وَجَلِيَ
 نَمُودَ بِاللَّهِ مِنْهُمَا . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَا لِي مَالِي وَهَلْ
 لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتُ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِئْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ
 فَأَمْضَيْتَ) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ أَرْسَلَا فِي غَنَمٍ
 بَأْ كَثْرٍ إِفْسَادًا فِيهَا مِنْ حُبِّ الشَّرْفِ وَالْمَالِ وَالْجَاهِ فِي دِينِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ)
 وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (هَالِكَ الْمُكْتَرُونَ إِلَّا مَنْ قَالَ بِهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ
 هَكَذَا وَهَكَذَا وَقَلِيلٌ مَاهُمْ) وَعَنْ يَحْيَى بْنِ مَعَاذٍ قَالَ الدِّرْهَمُ عَقْرَبٌ فَإِنْ لَمْ
 تَحْسَنْ رَقِيَّتَهُ فَلَا تَأْخُذْهُ فَإِنَّهُ أَنْ لَدِغَكَ قَتَاكَ سَمَّهُ قَيْلٌ وَمَا رَقِيَّتَهُ قَالَ أَخْذَهُ
 مِنْ حَلِّهِ وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ وَعَنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ مَصِيدَتَانِ لَمْ يَسْمَعْ الْأَوَّلُونَ
 وَالْآخِرُونَ بِمِثْلِهِمَا لِلْعَبْدِ فِي مَالِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ قَيْلٌ وَمَا هُمَا قَالَ يُؤْخَذُ مِنْهُ كَاهُ
 وَيَسْأَلُ عَنْهُ كَاهُ *

* بَيَانُ مَدْحِ الْمَالِ وَالْجَمْعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الذَّمِّ *

أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمَّى الْمَالَ خَيْرًا فِي مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فَقَالَ
 جَلَّ وَعَزَّ (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا) وَقَالَ تَعَالَى مِمْتَنَّا عَلَى عِبَادِهِ (وَيَعِدُكُمْ بِأَمْوَالٍ
 وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا) وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(نِعِمَّ الْمَالُ الصَّالِحُ لَرَجُلٍ الصَّالِحِ) ولا تقف على وجه الجمع بين اللّم والمدح إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته حتى ينكشف لك أنه خير من وجهه وشر من وجهه وأنه محمود من حيث هو خبير وهذه موم من حيث هو شر فإنه ليس بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب الأمرين جميعاً وما هذا وصفه فيمدح تارة ويذم أخرى *

﴿ بيان تفصيل آفات المال وفوائده ﴾

قدمنا أن المال فيه خير وشر فمن عرف فوائده وغوائله أمكنه أن يحتزم من شره ويستمد من خيره . أما الفوائد فدينية ودينية أما الدنيوية فهروفة . وأما الدينية فتتخصص في ثلاثة أنواع *

(النوع الأول) أن ينفقه على نفسه إما في عبادة كالسفر للحج والعلم وإما فيما يقويه على العبادة من مطعم وملبس ومسكن ومنكح وضرورات المعيشة . وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة *

(النوع الثاني) ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام الصدقة . والمروءة ووقاية العرض . وأجرة الاستخدام (أما الصدقة) فلا يخفى ثوابها *

(وأما المروءة) فتعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراها فان هذه لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الاخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويتحقق بزمره الأسيخاء فلا يوصف بالجلود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة وهذا أيضاً مما

يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام
الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها . وأما وقاية العرض فمنهني به
بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء ودفعت شرهم وهو أيضاً - مع
تنجز فائدته في العاجلة - من الحظوظ الدينية . ففي الحديث (ما وقى به المرء
عرضه كُتِبَ له به صدقة) وكيف لا وفيه منع المقتاب عن معصية الضيعة
واحتراز عما يشور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام
على مجاوزة حدود الشريعة . وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج
اليها الانسان كثيرة ولو تولأها بنفسه ضاعت أوقاته *

(النوع الثالث) ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام
كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى وغير ذلك من الأوقف
المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجيلة
بركة أدعية الصالحين . وناهيك بها خيرا . فهذه جملة فوائد المال في الدين *
(وأما الآفات) فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث (الأولى) أن
تجر الى المعاصي فان المال يحرك داعية المعاصي وارتكاب المنجور *

(الثانية) أنه يجر الى التعم في المباحات والتمرن عليه حتى يصير مأوفا
عنده ومحبوبا لا يصبر عنه وإذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل
اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في الكذب والنفاق وسائر
الأخلاق الرديئة لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه وذلك من شؤم المال
(الثالثة) أنه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد

عن الله فهو خسران وأما الآفات الدنيوية فكثيرة كالخوف والحزن والغم
والهم والتعب في دفع الحساب وتجشم المضاعب في حفظ المال وكسبه والفكر
في خصومة الشركاء ومنازعتهم . وأودية أفكار الدنيا لانهاية لها . فاذا تريق
المال أخذه من حله وصرفه في الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات نسأله
تعالى السلامة والهنون بطئنه وكرمه *

﴿ بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة والاقتصاد ﴾

ينبغي للفقير أن يكون قانعاً منقطع الطمع عن انخلق غير ملتفت الى ما في
أيديهم ولا حريصاً على اكتساب المال كيف كان لئلا يتدنس بنذل الحرص
فيجرحه الى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات وقد جبل الآدمي على
الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو كان لابن
آدم واديان من ذهب لا يبغي لهما ثالثاً) وعلاج ذلك لا يكون إلا بأمر
(الأوّل) الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق وهو الأصل في
القناعة فان من كثر خرجه واتسع انفاقه لم يتمكنه القناعة وفي الحديث
(ما عال من اقتصد) وعنه صلى الله عليه وسلم (ثلاث منجيات خشية
الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والفضب)
وعنه صلى الله عليه وسلم (الاقتصاد وحسن السمات والهدى الصالح جزية
من بضع وعشرين جزءاً من النبوة) (الثاني) أن يتحقق بأن الرزق
الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وان لم يشتد حرصه (الثالث) أن يعرف
ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الذل والمداهنة .

(الرابع) أن يكثر تأمله في تنعم الكفرة والحقى ثم ينظر الى أحوال الأنبياء والأولياء ويستمتع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخبر عقله بين أن يكون على مشابهة الفجّار أو الأبرار فيهون عليه الصبر على القليل والقناعة باليسير

(الخامس) أن يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرنا في آفات المال ويتم ذلك بأن ينظر أبداً الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه - فهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر *

(بيان فضيلة السخاء)

اعلم أن المال ان كان مفقوداً فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجوداً فينبغي أن يكون حاله الايثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشحّ والبخل فان السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من اصول النجاة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه أحاديث كثيرة منها ﴿ خُلِقَانِ يُحِبُّهُمَا اللهُ تَعَالَى حَسَنُ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءُ وَخُلِقَانِ يُبْغِضُهُمَا اللهُ تَعَالَى وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ فِي قَضَائِهِ حَوَائِجِ النَّاسِ ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم (إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام) وقال أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل شيئاً على الاسلام الا أعطاه وأناه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمداً يعطى عطاء من لا يخاف الفاقة . وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ إن السخي قريبٌ من الله قريبٌ من الناس قريبٌ من

الجنة بعيدة من النار وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار . وجاهل سخى أحب إلى الله من عالم بخيل وأدوا الداء البخل وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتبت له صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها) وقال صلى الله عليه وسلم (كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللمهان) وعن الحسن بن علي : الكرم هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرافة بالسائل مع بذل النائل . وعن عبد الله بن جعفر : أطر المعروف مطرا فان أصاب الكرام كانوا له أهلا وان أصاب اللئام كنت له أهلا . ومن سخاء السلف ما حكي أن ابن عامر اشترى دارا بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهلها فسأل فقيل يبكون لدارهم فقال يا غلام أيتهم فأعلمهم أن المال والدار لهم جميعا وكان الليث ابن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثمانئة وستين مسكينا . وعن أسماء بن خارجة أن عبد الملك سأله عن خصال حدث بها عنه فأجابته أسماء : ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط ولا صنعت طعاما قط فدعوت عليه قوما الا كانوا أمن علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئا فاستكثر شيئا أعطيته اياه . وعن الشافعي أن حماد بن أبي سليمان انقطع زره وهو راكب فمر على خياط وأراد النزول فبادره الخياط وحلف عليه أن لا ينزل وأصلح له زره وهو راكب فأخرج له صرة فيها عشرة دنانير وسلمها له واعتذر اليه من قاتمها

قال الشافعي لأزال أحب حمادا لما بلغني عنه وأنشد الشافعي لنفسه *
يا لطف قلبي على مال أجود به على المقلين من أهل المروء آت
إن اعتذاري الي من جاء يسأني ما ليس عندي من إحدى المصيبات
وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال
ياربيع اعطه أربعة دنانير واعتذر اليه عنى وقام رجل الي سعيد بن العاص
فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكي فقال له سعيد ما يبكيك قال أبكي على
الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى وروى أن علياً كرم
الله وجهه بكى فقبل ما يبكيك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن
يكون الله قد أهانني وروى أن رجلاً أتى صديقاً له فدق عليه الباب .
فقال ما جاء بك قال عليّ أربع مائة درهم دين فوزن أربع مائة درهم وأخرجها
إليه وعاد يبكي فسأله امرأته فقال ابكي لأني لم أتقد حاله حتى أحتاج
إلى مفاتيحي . فرحم الله من هذه أخلاقهم وغفر لهم *

* بيان ذم البخل *

قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يوقْ شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ وقال
تعالى ﴿ ولا يحسن الدين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم
بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم
﴿ إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم
ويستحلوا محارمهم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ لا يدخل الجنة بخل ﴾
وعنه صلى الله عليه وسلم ﴿ إن الله يبغض البخل في حياته السخى عند

موتته ﴿ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ خصمتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق ﴾ وعن علي كرم الله وجهه : سيأتي على الناس زمان عريض يعض المؤمن على مافي يده ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ وقال الشعبي : لا أدري أيهما أبعد غورا في نار جهنم البخل أو الكذب . وقال بشر بن الحارث : البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إنك إذا لبخيل ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم لو فد بنى لحيان ﴿ من سيئكم ﴾ قالوا جند بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم ﴿ وأي داء أدوم من البخل ولكن سيئكم عمرو بن الجهم ﴾ وكان عمرو يؤلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تزوج وعن علي رضي الله عنه قال : والله ما أسنقى كريم قط حقه قال الله تعالى ﴿ فله آيات به رأظرة الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ﴾ وقال بشر النظر إلى البخيل يقسى القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين وقال ابن المعتز : أبخل الناس بماله أجودهم بمرضه *

﴿ بيان الأيثار وفضله ﴾

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات فأرفع درجات السخاء الأيثار وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه وإنما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج إليه لاحتياج أو لغير محتاج . والبذل مع الحاجة أشد . وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخر الإنسان على غيره مع الحاجة . فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يسك المال ويمرض فلا

يتداوى ويشتمى الشهوة فلا يمنه منها الا البخل بالثمن ولو وجدها مجاناً
 لأكلها فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة . وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه
 محتاج اليه . فانظر ما بين الرجلين فان الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء
 وليس بعد الايثار درجة في السخاء . وقد أثنى الله على الصحابة رضي الله
 عنهم به فقال ﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ فقد روى
 أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً فدخل
 عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف الى أهله ثم وضع بين يديه الطعام
 وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل
 حتى أكل الضيف الطعام فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ﴿ لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمُ اللَّيْلَةَ إِلَى ضَيْفِكُمْ وَنَزَاتِ ﴾ ﴿ وَيُؤْتُونَ
 عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ فالسخاء خلق من أسنلق الله تعالى
 والايثار أعلى درجات السخاء . وكان ذلك من دأب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حتى سماه الله تعالى عظيماً فقال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
 قيل خرج عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما الى ضيعة له فنزل على
 نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى الغلام بقوته فدخل الخائط
 كلب ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى اليه الثاني والثالث
 فأكله وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال
 فلم آثرت به هذا الكلب قال ما هي بأرض كلاب انه جاء من مسافة بعيدة
 جائعاً فسكرت أن أشبع وهو جائع قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى

هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام على السخاء ان هذا الغلام لأسخى منى
فأشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه *
وقال عمر رضي الله عنه أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخي كان أحوج منى اليه فبعث به اليه فلم يزل
كل واحد يبعث به الى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع الى الأول *
وقال حذيفة العدوي : انطلقت يوم اليرموك - من أيام فتوح الشام -
اطلب ابن عم لي ومهي شيء من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت
به وجهه فاذا أنا به فقلت أسقيك فأشار إليّ أن نعم فاذا رجل يقول آه فأشار
ابن عمي اليّ انطلق به اليه قال فجمته فاذا هو هشام بن العاص فقلت أسقيك
فسمع به آخر فقال آه فأشار هشام انطلق به اليه فجمته فاذا هو قد مات
فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات
رحمة الله عليهم أجمعين *

﴿ بيان حدّ السخاء والبخل وحقّيتهما ﴾

اعلم أن المال خلق الحكمة وهو صلاحه لحاجات الخلق . فيمكن امساكه
عن صرفه الى ما خلقه الصرف اليه . ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن
الصرف اليه . ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو أن يحفظ حيث يجب
الحفظ ويبدل حيث يجب البذل . فالامساك حيث يجب البذل بخل .
والبذل حيث يجب الامساك تبذير . وبينهما وسط هو الحمود وينبغي أن
يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا

بالسخاء وقد قيل له ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
 الْبَسْطِ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ
 ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض
 وهو أن يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا بد أن يكون قلبه طيباً به
 غير منازع له فيه ثم أن الواجب بذله قسماً واجب بالشرع وواجب
 بالمروءة والمادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة
 فان منع واحداً منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل
 كالذي يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة أو بوؤديها ولكنه يشق
 عليه فانه بخيل بالطبع أو الذي يئتم الخبيث من ماله ولا بطيب قلبه أن يعطى
 من أطيب ماله أو من وسطه فهذا كاه بخيل *

ومن واجب المروءة ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك
 مستقبح واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فمن كثر ماله
 استقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل
 المضايقة مع أهله وأقاربه ما لا يستقبح مع الأجانب ويستقبح من الجار
 ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح في
 المعاملة وبالجملة فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم
 الشرع وإما بحكم المروءة ومن أدى واجب الشرع وواجب المروءة
 اللاتقة به فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء مالم
 يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات . فاصطناع المعروف

وراء ما ترجيه العادة والمرودة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طيب
نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من
طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد فإنه يشتري المدح بماله ومثله
من يبعثه عليه الخوف من الهجاء أو ملامة الخلق فإنه ليس من الجود
لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعراض مستحالة عليه فهو معتاض لأجواد *

﴿ بيان علاج البخل ﴾

اعلم أن البخل سببه حب المال وحب المال سببان (أحدهما) حب
الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل (الثاني) أن يحب
عين المال ويتند بوجوده وان علم أنه زائد عن حاجاته بقية عمره وقد منا
أن علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة بالصبر
وبالصبر ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران
وطول تبهمهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب إلى الولد بأن
خالقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من أبيه مالا وحاله أحسن ممن
ورث وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو
إلى شر ويعالج قلبه أيضاً بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل
ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم . ومن الأدوية
النافعة كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له فإنه
مامن بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل البخيل من أصحابه فيعلم
أنه مستثقل ومستقدر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه . ويعالج قلبه

أيضاً بأن يتفكر في مقاصد المال وأنه لماذا خلق فلا يحفظ منه إلا قدر حاجته
والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بئله . فهذه الأدوية
من سبب المعرفة والعلم فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الامساك
في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلاً . فإذا تحركت
الشهوة فينبغي أن يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر
ويخوفه ويصدّه عنه *

كتاب ذم الجاه والى ياء

اعلم أصاحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو
مذموم بل المحمود الخمول إلا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب
الشهرة منه . قال الله تعالى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْمَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوقًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا ﴾ جمع بين إرادة الفساد والعلو في الأرض وبين
أن الدار الآخرة للخالي عن الارادتين جميعاً وقال عز وجل ﴿ مَنْ كَانَ
يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلُ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وهذا أيضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه أعظم لذة من
لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها . وفي الحديث ﴿ حَسْبُ امْرِئٍ
مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ
اللَّهُ . إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ﴾